

صلة الرحم وبر الوالدين

الإنسان بطبعه يحب المعاشرة والاختلاط، وهذا ما دلت عليه الأخبار عن سيدنا آدم عليه السلام عندما خلقه الله تعالى شعر بوحشة الوحدة وآنسه الله تعالى بالمسيدة حواء ففرح بها فرحاً شديداً، لهذا من يترك قرينه أو يهجره فقد خالف فطرته الإنسانية.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»^(١).

شرح الحديث:

لا يوجد تشريع عالمي أو دستوري مثل التشريع الإسلامي الذي يقدر الوالدين وصلة الرحم، حتى أن النبي الكريم ينبهنا ويحذرنا من أكبر الكبائر، وما هي تلك الكبيرة؟! فنظن من أول وهلة هي التهاون في العبادات أو أي شيء آخر، وأما الأمر الحقيقي فهو أن يلعن الرجل والديه ويكون ذلك الأمر الخطير عندما يسب الرجل أبا الرجل أو أمه، وبهذه الحالة لم يعرف قدر آباء الناس واحترامهم فكأنه لم يعرف قدر واحترام والديه فيكون عاقاً لهما.

الدليل القرآني

فمن يشكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه لأن رضا الله من رضا

(١) رواه البخاري ومسلم.

الوالدين، لقوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ [لقمان، الآية: ١٤] .

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣، ٢٤] .

شرح هذه الآيات

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء، الآية: ٢٣] يعني أمر ربك أن لا توحّدوا غير الله ﷻ، ويقال: ألا تعبدوا إلا إياه ولا تطيعوا أحداً في المعصية.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يعني برّاً بهما وعطفاً عليهما.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ يعني الشيخوخة لأحدهما أو كلاهما.

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ لا تقل لهما قولاً رديئاً.

ويقال معناه: إذا كبر الأبوان واحتاجا إلى رفع بولهما وغائطهما فلا تأخذ بأنفك عند ذلك ولا تعبس بوجهك، فإنهما قد رفعاً ذلك منك في حالة صغرك.

ثم قال: ﴿وَلَا نَهْرَهُمَا﴾ لا تغلظ لهما بالقول.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ يعني ليناً حسناً.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ يعني كن ذليلاً رحيماً عليهما.

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ يعني إذا ماتا فادع لهما بالمغفرة، يجب على الولد أن يعرف حق والديه في حياتهما وبعد مماتهما.

﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ كما قاما عليّ في حال صغري حتى كبرت.

عن مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار.

فقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من بر أبويّ شيء بعد موتهما أبرهما به؟

قال: «نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما والامتنعاف لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما»^(١).

رضا الوالدين بعد الممات

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي:

فإن سأل سائل: إن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما؟

فقال له: بلى يرضيهما بثلاثة أشياء:

أن يكون الولد صالحاً في نفسه، لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه.

أن يصل قرابتهما وأصدقاهما.

أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عنهما.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك»^(٢).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا به،

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

(٢) أبو داود.

وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»^(١).

سبحان الله الابن يضرب أباه!!

عن أبي حفص البكندي - وكان من علماء سمرقند - أنه أتاه رجل فقال: إن ابني ضربني وأوجعني.

قال: سبحان الله! الابن يضرب أباه!؟

قال: نعم ضربني وأوجعني.

فقال: هل علّمته الأدب والعلم؟

قال: لا.

قال: فهل علّمته القرآن؟ قال: لا.

قال: فأى عمل يعمل؟

قال: الزراعة.

قال: هل علمت لأي شيء ضربك؟ قال: لا.

قال: لعله حين أصبح وتوجه إلى الزرع وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه والكلب خلفه وتعرضت له في ذلك الوقت فظنّ أنك بقرة فضربك، فاحمد الله أنه لم يكسر رأسك^(٢).

مهما عملت لا تؤدي حق والدتك

روي أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إن أمي هرمت فأطعمها بيدي وأسقيها وأوضئها وأحملها على عاتقي، فهل جازيتها حقها؟

قال عليه الصلاة والسلام: «لا ولا واحد من مئة».

قال: لمّ يا رسول الله؟

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) البصائر في تذكير العشائر.

قال: «لأنها خدمتك في وقت ضعفك مريدة حياتك، وأنت تخدمها مريداً ممانتها، ولكنك أحسنت والله يشيك على القليل كثيراً»^(١).

أصبح جليس موسى بیره لوالدته

ورد أن سيدنا موسى ﷺ قال: إلهي أرني جليسي في الجنة.

فقال: اذهب إلى البلد الفلاني فهناك قصاب جليسك في الجنة. فذهب موسى إلى ذلك الرجل فرأى شاباً يأخذ فضلاً ويعطي نقصاً، فتعجب موسى وقال: ربما غلطت به. فنزل جبريل فقال: هو ذلك الرجل الذي عرفناك به. فوقف موسى هناك إلى وقت غروب الشمس فأخذ القصاب قطعة لحم وأغلق باب دكانه وأراد الانصراف. فقال موسى ﷺ: هل لك أن تضيفني يا فتى؟ قال: نعم باسم الله، فلما مضى معه ودخل قدّم إليه الطعام، وقال: إن شئت أن تتناول الطعام فافعل وإلا فاصبر حتى أرجع إليك، قال موسى: أنتظر فراغك من الشغل، فقام رجل فطبخ من ذلك اللحم طبخاً حسناً ودخل الدار وأخرج زنبيلاً فيه عجوز كأنها فرخ حمام فأخرجها منه وأخذ لها ملعقة وكان يضع الطعام في فمها حتى شبعت وخففت ثوبها ثم وضعها في الزنبيل، فحركت العجوز شفيتها فعلقها ثم رجع القصاب إلى موسى وأراد أن يأكل معه، فقال موسى: ما الذي صنعت؟

قال: اعلم أن العجوز والدتي وقد كبرت وضعفت فلا تقدر على القعود، فإذا انصرفت إلى السوق لا أكل ولا أشرب حتى أشبعها.

قال: قد علمت هذا وقد رأيتها تحرك شفيتها.

فقال الشاب: كل وقت أشبعها فيه تقول: اللهم اجعله جليس موسى.

فقال موسى: لك البشارة فأنا موسى جليسك في الجنة^(٢).

(٢) مختصر رونق المجالس، ص: ٧٩ - ٨٠.

(١) حكايا الصوفية.

رضا الله من رضا الوالدين

ورد أن الله تعالى كلّم موسى عليه الصلاة والسلام ثلاث آلاف وخمسمائة كلمة، فكان آخر كلامه: يا رب أوصني.
قال: أوصيك بأمر حسن، قال له سبع مرات.
قال: حسبي.

ثم قال: يا موسى رضاها رضاي وسخطها سخطي^(١).

أطع أباك يفرّج الله عنك

روى ابن كثير في تفسيره: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أمره الله تعالى بذبح ابنه قال له: يا بني خذ الحبل والسكين وانطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب كبيرة أخبره بما أمره الله به.

فقال إسماعيل: يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أراد أن يذبحه قال له: يا أبت اشدّد رباطي حتى لا أضطرب واشحذ شفتك وأسرع مر الكين على حلقي فإن الموت شديد، وإن أتيت أُمّي فاقراً عليها السلام مني.

فلما فعل إبراهيم ذلك فدى الله إسماعيل بكبش أنزله من السماء^(٢).

ببره بأبيه صار من الصالحين

يقول تعالى: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان، الآية: ١٤].

يحكى أن الفضل بن يحيى كان في السجن مع أبيه فلم يقدر على تخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق وفيه ماء فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك^(٣).

وصايا من ذهب

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير:

(٢) تفسير ابن كثير.

(١) المستطرف.

(٣) وفيات الأعيان.

- أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى ما هو دوني .
- وأوصاني بحب المساكين والدينو منهم .
- وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت .
- وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم .
- وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرأ .
- وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة^(١) .

الرحم تنادي

روي عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث متعلقات بالعرش»:

- ١ - الرحمُ تقول: اللهم إني بك فلا أقطع .
- ٢ - والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أخان .
- ٣ - والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أكفر^(٢) .

روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: الطابع مُعلق - أي السواد والقساوة وهي الظلمة على قلب العاصي - بقائمة العرش، فإذا اشتكت الرحم وعُجِلَ بالمعاصي واجترأ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئاً^(٣) .

أي يعاقب الله تعالى قاطع الرحم في الدنيا قبل الآخرة، بأن ينزل على قلبه القساوة وعدم الرحمة على أقاربه، ومن وصل رحمه وصله الله تعالى بالرحمة والبركة في العمر والمال، ومن قطع رحمه قطعه الله من

(١) رواه الطبراني وابن حبان .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه البزار والبيهقي .

وصاله وأخذ البركة من عمره وماله.

أعجل البر لصلة الرحم

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يمجّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»^(١).

وفي رواية للطبراني: «من قطيعة الرحم والخيانة والكذب، وإن أعجل البرّ ثواباً صلة الرحم، حتى إنّ أهل البيت ليكونون فجراً فتتموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا»^(٢).

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعواً:

- ١ - صلة الرحم اسمها من اسم الرحمن، من وصله وصله الله بالرحمة ومن قطعه نزلت عليه اللعنة.
- ٢ - ومن شدة وثاق الرحم أن الأقارب يدعون لأرحامهم حتى بعد مماتهم لما على الأحياء من حق للأموات مثل الدعاء والصدقة على أرواحهم، وعلى الموتى طلب الهداية لهم.
- ٣ - صلة الرحم من حقوقها القيام بنصيحتهم وإرشاد ضالهم وهداية شاردهم وتذكير غافلهم والحماية لهم في الوجه وفي الخلف.

(١) رواه ابن ماجه والترمذي.

(٢) رواه ابن حبان.